الفصل الخامس

خطاب العرض والتحضيض

في الحديث الشريف

الفصل الخامس

خطاب العرض والتحضيض في الحديث الشريف

أسلوبا العرض والتحضيض من الأساليب الإنشائية الطلبية في اللغة العربية، فالعرض طلب بلين ورفق، والتحضيض طلب بحث وشدة. وقد ورد هذان الأسلوبان في حديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري وهما يحملان - بالإضافة الى دلالتهما العامة التي ذكرها النحاة والبلاغيون، العرض او التحضيض – دلالات ومعاني أخرى متواشجة مع الدلالة الأصلية ومتساوقة معها.

العرض والتحضيض في اللغة والاصطلاح:

عرض الشيء للنظر فيه، جاء في لسان العرب عرض الشيء عليه يعرضه عرضا أراه إياه ... وعرضت الجارية والمتاع على البيع عرضاً[1].

والتحضيض بمعنى الحث والتحريض، جاء في اللسان، الحض: ضرب من الحث في السير والسوق وكل شيء. والحض ايضا ان تحثه على شيء لا سير فيه ولا سوق. ويقال حضضت القوم على القتال تحضيضاً: إذا حرضتهم[2] .

والعرض والتحضيض أسلوبان من الأساليب الإنشائية الطلبية في اللغة العربية، وهما في اصطلاح النحاة: طلب الشيء، لكن العرض طلب بلين ورفق، والتحضيض طلب بحث وعنف وإزعاج[3]. وتابعهم في ذلك البلاغيون. يقول المغربي: " العرض هو طلب الشيء بلا حث ولا تأكيد، والتحضيض هو طلبه مع تأكيد وحث " [4].

ويفرق المرادي بينهما فيقول: " التحضيض اشد توكيداً " من العرض. والفرق بينهما: انك في العرض تعرض عليه الشيء لينظر فيه، وفي التحضيض تقول: الأولى بك ان تفعل فلا يفوتنك. قيل: ولذلك يحسن قول العبد لسيده: ألا تعطيني، ويقبح: لولا تعطيني " [5].

---

(1) ابن منظور، (عرض): 26/9 .
(2) نفسه، (حضض): 405/8 .
(3) مغنى اللبيب لابن هشام: 69/1، 274، همع الهوامع للسيوطي: 67/2، شرح الاشموني على الفية ابن مالك: 609/3، الاشباه والنظائر للسيوطي: 179/4، شرح الكافية للاستراباذي: 378/2 .
(4) مواهب الفتاح – شروح التلخيص: 330/2 .
(5) الجنى الداني في حروف المعاني: 371 .

لم يفرد البلاغيون مبحثاً خاصاً لهذا الأسلوب كما فعلوا في الأساليب الطلبية الأخرى، وإنما ورد ذكره عندهم ضمن مبحثي التمني والاستفهام فأدوات التحضيض وهي (ألاّ) و (هلاّ) و (لولا) و (لوما) التي أطلقوا عليها مصطلح " أدوات التنديم والتحضيض ". تولد التحضيض عندهم من معنى التمني القائم فيها، لأنها مركبة من الحرفين (هل) و (لو) المستعملين للتمني، دخل عليهما الحرفان (لا) و(ما). يقول السكاكي في معرض حديثه عن (لو) واستعمالها للتمني " وكأن حروف التنديم والتحضيض وهي (هلاّ) و (ألاّ) بقلب الهاء همزة، و (لولا) و (لوما) مأخوذة منهما مركبتين مع (لا) و (ما) المزيدتين لتضمينهما معنى التمني ليتولد منه في الماضي التنديم نحو: هلاّ أكرمت زيداً "، وفي المضارع التحضيض نحو: هلاّ تقوم[1].

أما العرض في (ألا) فهو عند السكاكي ليس باباً قائماً بنفسه، وإنما هو مولد من الاستفهام. يقول: " وأما العرض كقولك: ألا تنزل تصب خيراً، فليس باباً على حدة وإنما هو من مولدات الاستفهام " [2].

ويرى الجرجاني ان العرض قريب من التمني، لأن العرض حث على الفعل والحث لا يكون إلا على ما يوده المتكلم ويتمناه. يقول " والعرض قريب من التمني وذلك كقولك " ألا تنزل فتصيب خيراً " كأنه قال: ألا يكون منك نزول فإصابة خير، ومقاربة العرض للتمني من حيث أنك إذا عرضت عليه النزول فقد حثثته عليه، ولا تحث إلا على ما توده وتتمناه " [3] .

أدوات العرض والتحضيض في العربية :

لقد ذكر النحاة أدوات أخرى تستعمل للحث عدا (ألاّ) و (هلاّ) و (لولا) و (لوما) وهي (لو) و (ألم) و (هل).

فقد أشار ابن فارس الى معنى الحث والإغراء في الأداتين (لو) و (ألم) فقال في باب الإيماء " العرب تشير الى المعنى إشارة وتومئ إيماءً دون التصريح، فيقول القائل: " لو ان لي من يقبل مشورتي لأشرت " وإنما يحث السامع على قبول المشورة " [4] .

ويقول في موضع آخر: " والإغراء والحث قولك: ألم يأن لك ان تطيعني ! وفي كتاب الله – جل ثناؤه – ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [5][6] .

---

(1) مفتاح العلوم: 147-148، وينظر الإيضاح للقزويني: 130/1، شروح التلخيص: 242/2-244 .
(2) مفتاح العلوم: 153، وتابعه القزويني، ينظر، الإيضاح: 144/1، وشروح التلخيص: 330/2 .
(3) المقتصد في شرح الإيضاح،: 164/2 .
(4) الصاحبي: 248 . وينظر كذلك في همع الهوامع: 67/2 .
(5) سورة الحديد / الآية 16 .
(6) الصاحبي: 187 .

أما (هل) فقد المح ابن جني الى استعمالها في معنى العرض والتحضيض يقول في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [1] عادة الاستعمال هل لك في كذا؟ لكنه لما كان معناه ادعوك الى ان تزكى استعمل (الى) هنا تطاولاً نحو المعنى، وقد تقدم هذا، وهو غور عظيم " [2].

ويقول ابو حيان في الآية الكريمة: " قول موسى ((هل لك الى ان تزكى)) هو عرض فيه مناصحة " [3].

وذكر البغدادي في شرح قول الشاعر:

ألا ليت شعري هل يلومن قومه زهيراً على ماجر من كل جانب

" فان الذوق السليم يفهم من هذا البيت تحريض أقربائه على لومه ولومهم على ترك لومه " [4].

أسلوبا العرض والتحضيض في الحديث الشريف:

لقد وردت هذه الأدوات جميعاً في حديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري، لتشير لا الى معنى العرض او التحضيض حسب وانما متواشجة مع معاني آخر، وشت بها سياقات الحديث ومقتضيات أحواله، ولا سيما ان مقومات البلاغة النبوية مطابقة الكلام لمقتضى الحال وقد كان لاستعمال هذه الأدوات دلالاتها من حيث ملاءمتها لنفسية المخاطب وظروف الخطاب، فالرسول الكريم يخاطب كل إنسان بما يناسبه فيستميله ويبلغ منه القصد.

وقد ارتأت هذه الدراسة ان تفرد لهذا الأسلوب مبحثاً خاصاً، لما فيه من دلالات ومعاني أوحى بها حديث ابلغ البلغاء ﷺ في امة البلاغة.

دلالات أسلوب العرض:

لم تأت (ألا) كأداة للعرض في الحديث الشريف حسب، وانما كان في العرض النبوي اللطف وتحريك كوامن الشوق لدى المخاطب والتنبيه وجذب الإصغاء، في مقام الترغيب او الترهيب او التأنيس والتسلية، وهذه المعاني وشت بها سياقات الأحاديث الشريفة:

كما نرى فيما يأتي :

---

(1) سورة النازعات / الآية 8 .
(2) المحتسب: 321/2 .
(3) البحر المحيط: 285/6 .
(4) خزانة الأدب: 291/1 .

عن ابي موسى ﷺ ان النبي ﷺ قال له: " ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة الا بالله " [1].

وعن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال: " ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: بنو النجار ثم الذين يلونهم بنو عبد الاشهل، ثم الذين يلونهم بنو عبد الحارث بن الخزرج، ثم الذين يلونهم بنو ساعدة. ثم قال بيده فقبض أصابعه، ثم بسطهن كالرامي بيده، ثم قال: وفي كل دور الأنصار خير " [2].

وقال ﷺ " ألا أدلكم على أهل الجنة؟ كل ضعيف [3] متضعف لو اقسم على الله لأبرّ ". ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتلٍّ [4] جوّاظٍ [5] مستكبر " [6].

لقد خاطبت البلاغة النبوية في الحديث الأول بأسلوب العرض جانباً مهماً من جوانب الغرائز البشرية ألا وهو حب النفس للمال، وأي مال هذا، فهو ليس كنزاً من كنوز الدنيا الفانية، بل هو من كنوز الجنة الباقية، ولا شك ان العرض قد حقق غايته في استثارة المخاطب وتحريك كوامن شوقه الى معرفة الجواب، فيكون الإصغاء أشد والتأثير أقوى والإبلاغ أدل، مما لو ذكر المعنى من دون هذا التحفيز الذي تدل عليه الأداة (ألا) وذلك من اجل ترغيب المخاطب في قول كلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله).

وفي الحديث الثاني أثارت أداة العرض (ألا) التشويق في نفوس المتلقين، ولا شك ان الصحابة ﷺ قد حبست أنفاسهم واشتد شوقهم وتعاظم انتباههم وهم ينتظرون جواب رسول الله ﷺ ليعلم كل منهم هل سيذكر ضمن الأخيار؟ فكان جوابهم له بأدب " بلى يا رسول الله " تعبيراً عن هذه الرغبة الشديدة في المعرفة وحب الاستطلاع، فأخبرهم مقرراً بالتدريج خير دور الأنصار، ثم أعقبها بجملة ترضي جميع الأنصار (وفي كل دور الأنصار خير) مستعملاً الإشارة المفهمة – وهي قبض الأصابع ثم بسطها – مقرونة بالنطق، من اجل تأكيد المعنى، ولفت النظر وتنبيه الغافل، فضلاً عن انها وسيلة تعين على الحفظ والتذكر، فالفضل حاصل في جميع دور الأنصار، وان تفاوتت مراتبه.

وثمة تساؤل في الحديث الثالث يبسط الرسول من خلاله قضية ذات أبعاد تربوية مهمة يهدف الى تنفيذها وتثبيت مدلولها ومفهومها في نفوس المسلمين، وهي

---

(1) صحيح البخاري: 102/8 .
(2) نفسه: 68/7 .
(3) الضعيف: يقال ضعفته واستضعفته للذي يتضعفه الناس ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر ورثاثة الحال . اللسان (ضعف): 106/11 .
(4) عتل: قيل الشديد الخصومة، وقيل الجافي الغليظ، وقيل الأكول المنوع . لسان العرب (عتل): 449/13 .
(5) جواظ: الكثير اللحم المختال في مشيته، وقيل الأكول، وقيل الفاجر اللسان (جوظ): 318/9
(6) صحيح البخاري: 198/6 .

صفة أهل الجنة وصفة أهل النار، فقد أثار هذا التساؤل الذي يحمل معنى العرض في جنبات النفس من الشوق ما يهيئها لاستيعاب هاتين الصفتين، وهل ثمة أمر أدعى الى التنبه والتيقظ والحرص على المعرفة الوافية من هذين الأمرين؟

لقد جاء العرض من اجل تنبيه الأذهان وتحفيزها الى الإصغاء والاستماع بغية استمالة النفوس الى الفضائل، ثم كررت أداة العرض لإيقاظ الحواس وتنبيه السامع على إحضار قلبه وفهمه للمضمون الذي يذكره، فبعد ان اخبرهم بصفات أهل الجنة من اجل ترغيبهم بالاتصاف بها، أراد ان يخبرهم بصفات أهل النار من اجل ترهيبهم منها، فكان أسلوب المقابلة في المعنى بين الجنة والنار و (متضعف ومستكبر) أثره في المخاطب من اجل ان يتحلى بصفات الأولى ويتجنب صفات الثانية وهو في الوقت نفسه يتيح للمتلقي دلالات فكرية تصعد المعنى وتزيده إيحاءً لا سيما وان الخطاب كان بصيغة العموم (كل) التي تجعل للمضمون دلالته الشمولية.

لقد ساهمت هذه الأساليب جميعاً في إثراء معنى العرض والتشويق وخلق التأثير المطلوب لكي تفضي من خلال الحس المتحفز للتنفيذ، الى اندفاع الإنسان برغبة الى التحلي بتلك الخصال الحميدة.

2- التأنيس والتسلية:

وقد يقترن أسلوب العرض في الحديث الشريف بمشاعر مختلفة كالتودد والمؤانسة والملاطفة، فيكون العرض النبوي تسكيناً للنفس وإراحة للصدر في مقام أحوج ما تكون النفوس فيه الى هذه المشاعر والأحاسيس، فيسلك رسول الله ﷺ أسلوب العرض المثير للانتباه والمحقق قدراً وافراً من الطمأنينة والسكينة والإيناس، كما في الأحاديث الشريفة الآتية:

عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء الفقراء الى النبي ﷺ فقالوا: " ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون قال: ألا أحدثكم بأمر ان أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم احد بعدكم وكنتم خير من انتم بين ظهرانيه، إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين "[1].

فالعرض النبوي كان تأنيساً وتسلية لنفوس الفقراء الذين جاءوا الى النبي ﷺ وهم يشكون اليه فقرهم ورغبتهم في نيل الفضل الذي استأثر به الأغنياء، فأراد رسول الله ان يؤانسهم ويرغبهم في عمل يوازي في فضله ما يقوم به الأغنياء، لذا سلك سبيل العرض المثير للانتباه والمحقق قدراً وافراً من الطمأنينة والسكينة والإيناس، لم يكن يتوافر لو جاءت الإجابة خبراً مباشراً تتضاءل قدرته الأدائية على إثارة ذلك القدر المطلوب من الإحساس بالطمأنينة وهدوء النفس وسكون الروع، فكان أسلوبه مناسباً للمقام أولاً وللمتلقي ثانياً.

وفي هذا المعنى ايضا ورد قوله ﷺ مخاطباً ابنته السيدة فاطمة (رضى الله عنها) عندما أتت اليه تسأله خادماً لها فقال " ألا أخبرك ما هو خير لك منه؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين "[2].

فقد مهد للمضمون بهذا التمهيد المؤنس للنفس لينزل منزلة العظة والأناة في النفوس، فضلاً عن كونه أطيب لنفس المتلقي وأدعى الى إذعانه، فما فاتهم من نقص في الأموال او الخدم سوف يجدونه ثواباً في الآخرة، وهذا تسلية واطابة لنفوسهم.

3- الحث:

(1) نفسه: 213/2 .
(2) نفسه: 84/7 .

لم تكن الأداة (ألا) وحدها تشي بمعنى العرض في الحديث الشريف وإنما هناك أدوات أخرى اوحت بهذا الأسلوب أظهرتها سياقات الأحاديث النبوية الشريفة. من ذلك الأداة (لو) التي حملت إضافة الى معانيها التي ذكرها النحاة، معاني الحض والحث على الفعل، مقترنة مع معاني العرض، وفي هذا تلطف في الطلب يكون ادعى الى المسارعة في التنفيذ والالتزام بالمضمون.

والأحاديث الشريفة الآتية تبرز لنا تلك الدلالة:

- عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال: " يُهلِكُ الناسَ هذا الحيُّ من قريش. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم " (1).
- وقال النبي ﷺ يحض على الاغتسال في يوم الجمعة:
" لو انكم تطهرتم ليومكم هذا " (2).
وقال ﷺ لبريرة (3) وكانت قد فسخت زواجها من زوجها:
" لو راجعته: قالت يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه " (4).

ان التعبير بـ (لو) في الحديث الأول يحمل دلالة حض الناس وحثهم على اعتزال هذا (الحي من قريش) الذي أنبأنا رسول الله ﷺ أن بأيديهم سيكون هلاك الناس. وفي الحديث ما يرسخ هذه الدلالة ويعضدها وهو ذكر التعبير (فما تأمرنا؟) فجاء الجواب بصيغة التحضيض (لو ان الناس اعتزلوهم) الذي فيه حثاً وتحضيضاً على اعتزال الفتنة وأهلها ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من اللطف في الطلب والدعوة الى الالتزام بالمضمون بأسلوب يشعر المخاطب بشخصيته وانه طرف حر السلوك والاختيار.

وتبدو العبقرية البلاغية للرسول الكريم في تركيب الجملة ومراعاتها لمقتضيات الأحوال في الحديث الثاني، فهو دعوة الى الاغتسال في يوم الجمعة، ويتجلى ذلك في عبارة التحضيض (لو أنكم تطهرتم) التي تفيد الحض والحث على الاغتسال يوم الجمعة لأجل الصلاة ومجالسة الجماعة في المسجد من اجل رعاية مشاعر المصلين من التأذي بالرائحة الكريهة.

لقد ساعد أسلوب التحضيض على ترسيخ مدلول الجملة (الفكرة) في نفوس وقلوب السامعين، ليقبلوا على الاغتسال على سبيل الترغيب لا الإلزام، وهذا يكون أوقع في النفس وأقوى في التنفيذ.

---

(1) نفسه: 242/4 .
(2) نفسه: 8/2 .
(3) امة اشترتها السيدة عائشة (رضي الله عنها) ثم أعتقتها في سبيل الله وكان زوجها عبداً اسود يقال له مغيث . فتح الباري: 509/9 .
(4) صحيح البخاري: 62/7 .

لقد جاء الأمر بالاغتسال في يوم الجمعة متدرجاً، من الحث والتحريض على الاغتسال، كما في الحديث الشريف المذكور آنفاً الى الأمر الصريح بوجوب الاغتسال كما في قوله ﷺ (من جاء منكم الجمعة فليغتسل) كما يذكر العسقلاني [1] وهذا دليل على انه ﷺ عدل عن أسلوب الأمر الصريح في بداية الأمر من اجل ان يأخذ النفس بالتدرج، حتى لا يشق على الناس ذلك، فكانت دلالة الحض متواشجة مع دلالة العرض في (لو) تناسب حالة المخاطبين، لأنهم لم يتعودوا على الاغتسال في هذا اليوم، ولأن في ذلك مشقة لهم إذ كانوا أصحاب عمل[2] فكان أسلوب التحضيض اشد ملائمة لمقتضى حالهم ثم بعد ان اعتادت النفوس على ذلك جاء الحديث الآخر بصيغة الأمر الصريح.

أما الحديث الثالث فقد عرض رسول الله ﷺ لمولاة السيدة عائشة (رضي الله عنها) مراجعة زوجها باللفظ (لو) الذي يحمل تلك الدلالة متساوقة مع دلالة الحث والتمني، وقد أحست المخاطبة بكل تلك المعاني التي حملتها هذه اللفظة لهذا بادرت الى سؤاله هل هو أمر يجب عليها الامتثال له، أم مشورة فتتخير فيها، فأخبرها ﷺ: " إنما أنا أشفع ".

فرسول الله ﷺ لا يمكن ان يأمر المرأة ان تعود الى زوجها وهي غير راغبة فيه، وإنما قال ذلك بالتعبير (لو) الذي حمل كل تلك المعاني على سبيل الشفاعة لا على سبيل الحتم عليها كما يتجلى في هذه الصيغة حسن الأدب والتلطف في الخطاب بين الأعلى والأدنى.

دلالات أسلوب التحضيض:

1- الحث والحض

وقد تأتي (ألا) في الحديث الشريف لا لتدل على العرض وإنما على الحض والحث، كما في قوله ﷺ للصحابة ﷺ يوم احد عندما اخذ ابو سفيان يرتجز: أعْلُ هبل، أعْلُ هبل فقال ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى واجل. قال ابو سفيان: ان لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا:الله مولانا ولا مولى لكم [3].

وقال ﷺ لعلي وفاطمة (رضي الله عنهما) عندما طرقهما ليلاً: ألا تصلون؟ [4].

---

(1) فتح الباري: 2/490-491 .
(2) نفسه: 2/492 .
(3) صحيح البخاري: 4/80 .
(4) نفسه: 9/131 .

لقد التمس رسول الله ﷺ التحضيض في حديثيه، لما في هذا الأسلوب من التلطف في الطلب، والتأدب في الخطاب، وهذا الأسلوب أجدى من إملاء الحكم بأسلوب الأمر الصريح مراعاة لحال المخاطبين النفسية، ففي الحديث الأول، كانت جراح الهزيمة في تلك المعركة تنزف، ودماء الشهداء تسيل، وكان الشعور بالخيبة التي أصابت النفوس المؤمنة على أشدها، لذلك مالت البلاغة النبوية الى أسلوب يخف وقع ذلك الشعور على النفوس لتتحقق الاستجابة المطلوبة معه.

وجاء الحث على الصلاة في الليل، في الحديث الثاني، بأسلوب التحضيض المحقق قدراً كبيراً من التأثير، فلم يكن القيام بالليل من الفرائض وانما هو نصيحة وحث أراد ان يسديهما رسول الله ﷺ اليهما خصوصاً وهم الأهل والأصحاب، فأراد ان يذكرهما لأن الغفلة من طبع البشر، في أسلوب هو اشد ملائمة لحال المخاطبين النفسية وهو أسلوب التحضيض الذي أثارته الأداة (ألا) [1].

وقد استعملت أداة الاستفهام (هل) في غير معناها الأصلي لتدل على التحضيض والحث في مواضع أظهرتها سياقات الأحاديث الشريفة وإذا استعملت الأداة في غير معناها الأصلي فإنها تضفي على الكلام حيوية وتزيد من الإقناع والتأثير.

ومن هذه الأحاديث الشريفة التي أظهرت تلك الدلالة قوله ﷺ للمتلاعِنين:

" الله يعلمُ ان أحدكما كاذبٌ فهل منكما تائب؟ " [2] ثلاث مرات.

وقال ﷺ لجرير بن عبد الله: " هل أنت مُريحي من ذي الخلصة " [3][4].

لقد سلك رسول الله ﷺ في الحديث الأول سبيل السؤال المثير المحقق قدراً كبيراً من الحض والحث على التوبة من الكذب ولا سيما ان الحديث قد كرر ثلاثاً، تحذيراً من الوقوع في المعصية لأنه لابد وان يكون احد الزوجين الحالفين كاذباً. وذكر العسقلاني ان هذا الحديث ورد بعد فراغهما من اللعان، لذلك حمله على معنى الإرشاد، ونقل عن بعضهم ان ذلك كان قبل اللعان فيحمل على معنى التحذير من الوقوع في المعصية[5] . وسواء ورد الحديث قبل اللعان او بعده فان دلالة التحضيض والحث على التوبة بارزة في سياقه، لما في هذه الصيغة من استدراج للمخاطب

---

(1) جاء التحضيض بصيغة الجمع وهو محمول على ضم من يتبعهما إليهما او للتعظيم او لأن اقل الجمع اثنان . ينظر فتح الباري: 2389/13 .

(2) الخلصة: نصب كانوا يعبدونه في الجاهلية ويسمونه بالكعبة اليمانية، يضاهون به الكعبة، وخص جريراً بذلك لأنه كان في بلاد قومه، وكان هو من أشرافهم . فتح الباري: 8/89-90 .

(3) صحيح البخاري: 49/5 .

(4) فتح الباري: 572/9 .

(5) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: 180، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د. محمد ابو موسى: 295 .

يوقفه على خطأ وقع فيه وانه حري ان يراجع نفسه ويفكر، وفي هذا مبالغة في الطلب آكد وأقوى من صيغة الأمر المعهودة.

ولا تخلو (هل) من معنى التحضيض في الحديث الثاني ايضا، وقد دخلت على جملة اسمية بخلاف أصلها من الدخول على الجملة الفعلية لأن الأولى تدل على معنى أوفى مما تدل على الثانية، وفي ذلك تأكيد في الطلب، وحث على فعله " [1] كما ان استعمال أسلوب التحضيض بدل الأمر طريقة مؤدبة في الخطاب لحمل المخاطب على أمر هو غير ملزم به لما في هذا الأمر من كلفة وعناء قد ينوء بهما، فضلاً عن ان هذا الأسلوب فيه من التودد والامتنان مما لا يشعر فيه المخاطب بشعور المأمور، وهذا عامل نفسي له أثره في اتخاذ القرار والثبات عليه[2].

وقد لا يراد بالهمزة التي تدخل على (لم) التقرير كما هو الحال في اغلب المواضع التي تدخل عليها هذه الأداة، وإنما يراد بها دلالة أخرى وهي التحضيض وقد وردت في الحديث الشريف وهي تحمل هذه الدلالة. من ذلك:

عن عائشة (رضي الله عنها) ان رسول الله ﷺ دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال: " ألم تسمعي ما قال المُدْلِجيَ[3] لزيدٍ وأُسامة – ورأى أقدامهما – ان بعض هذه الأقدام من بعض " [4].

ودخل رسول الله ﷺ على سعد بن عبادة فقال له: " يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب – يريد عبد الله بن أُبيّ – قال كذا وكذا " [5].

لقد حمل التعبير بـ(ألم) دلالة حض السيدة عائشة (رضي الله عنها) على سماع ما قال القائف في زيد وأسامة (رضي الله عنهما) وحثها على ان تشاركه فرحته وسروره وإعجابه بقول القائف، لما تحمله هذه الصيغة من دلالة التعجب[6].

ووشت (ألم) بدلالة التحضيض في الحديث الثاني ايضا عند مخاطبته ﷺ لسعد بن عبادة ﷺ لما قال عبد الله بن أبي، وكان قد قال لرسول الله ﷺ عندما مر بهم في طريقه فدعاهم هو وجماعة معه من المشركين واليهود الى الإسلام وقرأ عليهم القرآن: ايها المرء، انه لا أحسن مما تقول ان كان حقاً فلا تؤذينا في مجلسنا، ارجع

---

(1) وقد امتثل الصحابي لطلب رسول الله ﷺ فنفر اليه في خمسين ومائة فارس فهدموا الصنم وقتلوا من وجدوا عنده . فتح الباري: 88/8 .

(2) هو ابن الأعور جعدة المدلجي، وكان عارفاً بالقيافة، وهو الذي يعرف الشبه ويميز الأثر، ونقل عن أهل النسب انهم كانوا في الجاهلية يقدحون في نسب أسامة لأنه كان شديد السواد، وكان أبوه زيد ابيض من القطن، فلما قال القائف ما قال مع اختلاف اللون، سر النبي ﷺ بذلك لكونه كافاً لهم عن الطعن فيه . فتح الباري: 66/12 .

(3) صحيح البخاري: 229/4 .

(4) نفسه: 50/6 .

(5) البحر المحيط: 297/3، النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبن الأثير: 178/2 .

(6) صحيح البخاري: 50/6 .

الى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه[1] فركب النبي ﷺ دابته وسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ذلك حاضاً إياه على السماع والعلم بما قال ذلك المنافق.

ان التعبير بـ (ألم) وهي تحمل دلالة التحضيض والحث تدل على شدة انفعال المتكلم وإحساسه بمعانيه، فكانت في الحديث الأول مصاحبة لشعور بالفرح والسرور الذي غمر رسول الله ﷺ وهو يحث عائشة (رضي الله عنها) على ان تشاركه تلك المشاعر السارة.

وكان انفعال رسول الله ﷺ في الحديث الثاني ألماً وحزناً لما يلقاه من صد وجفاء من أعداء الله والمنافقين وقد أراد رسول الله ان يخفف عن هذا الحزن وذلك الألم بحض سعد على الاستماع وأعلامه ما حصل.

معاني أخرى مصاحبة للتحضيض:

ووردت (هلاّ) في عدد من الأحاديث الشريفة وهي تحمل دلالة التحضيض – رغم اتصالها بالفعل الماضي- مصاحبة لمعاني أخرى كاللوم والتوبيخ او التنديم او التمني، كما في الأحاديث الشريفة الآتية:

عن أبي حميد الساعدي ﷺ ان النبي ﷺ قال: " ما بال العامل[2] نبعثه فيأتي فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا ياتي بشيء إلا جاء به يوم القيام يحمله على رقبته ان كان بعيراً له رُغاءٌ، او بقرة لها خُوار، او شاة تيعر[3] ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه: الا هل بلغت؟ ثلاثاً[4].

(1) كان رسول الله ﷺ قد استعمل رجلاً من بني أسد يقال له ابن الاتبية على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا اهدي لي، فذكر الحديث . ينظر فتح الباري: 275/5 .

(2) الرغاء: صوت البعير، اللسان (رغا): 45/19 . الخوار: صوت البقرة، اللسان (خور): 345/5 . اليعار صوت الشاة الشديد، اللسان (يعر): 165/7 .

(3) صحيح البخاري: 88/9 .

(4) الاهاب: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ، اللسان (أهب): 211/1 .

وعن ابن عباس ﷺ ان رسول الله ﷺ مر بشاة ميتة فقال:
" هلا استمتعتم بإهابها [1] " [2].
وقال ﷺ لأبي حُمَيْد[3] عندما جاءه بقدح من لبن من النقيع[4]:
" ألا خمّرته، ولو ان تعرض عليه عوداً " [5].
وعن أبي هريرة ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: " ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله، الا موضع لَبنة في زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وُضِعَت هذه اللَّبِنة؟ قال فأنا اللَّبِنة، وانا خاتم النبيين " [6][7].

لقد بلغت درجة الإثارة أقصى مداها في الحديث الأول، بعبارة الاستفهام الانكاري (مابال) لأن ما يتعلق به الإنكار ليس حادثاً يرتبط بفرد، وإنما يتعلق بمبدأ عام يحفظ سلوك ولاة الأمور في الرعية، ويحفظ مال المسلمين من غلول الخائنين، ولهذا جمع الصحابة وخاطبهم بصيغة العموم، فلم يخص فرداً معيناً ولم يذكر اسمه، بل تحدث عن أمر شائع، ليعمم الحكم كل من تولى عملاً للأمة. وحدة الانفعال تظهر في أسلوب التحضيض (فهلاّ جلس) التي تحض المخطئ على أن يتدبر حاله إذا اعتزل الولاية فجلس في بيت أبيه وأمه أكان يُهدى اليه ما يدّعي؟ فإذا أجاب نفسه بالنفي – وهو لاشك مجيبها بذلك – استيقن أن ما احتسبه باسم الهدية هو مال المسلمين، وحصوله في يده بسبب ولايتهم وسلطانه عليهم، فيستيقظ ضميره من خديعة جرّه الشيطان بها الى حتفه[8] فيندم على فعلته ولا يكررها.

لقد أفادت (هلاّ) في الحديث فضلاً عن التحضيض معاني التوبيخ واللوم الشديد لهذا العامل لقبوله الرشوة ولكي يزيد من التأثير في السامعين جاءت الجملة الخبرية المصدرة بالقسم (والذي نفسي بيده) إشارة الى ان الأمر خطير في مقام الترهيب ليحترز منه، جاءت بأسلوب القصر الذي يعد ضربا من ضروب التأكيد للمعاني، لأن القصر معناه تخصيص احد الطرفين بالآخر وكون احدهما مختصاً بصاحبه يجعله

(1) صحيح البخاري: 124/7 .
(2) رجل من الأنصار .
(3) النقيع: المحض من اللبن يبرد، اللسان (نقع): 238/10 .
(4) صحيح لبخاري: 141/7 .
(5) نفسه: 226/4 .
(6) ورد الحديث برواية أخرى بصيغة لولا التحضيضية (لولا موضع اللبنة) . ينظر، صحيح البخاري: 226/4 .
(7) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، عز الدين السيد: 357 .
(8) نفسه: 123 .

ألزم والصق من كونه متصفاً بملابسته اتصافاً مطلقاً[1]. فما أخذه في الدنيا يأتي به يوم القيامة حاملاً إياه على رقبته، وهذا وعيد شديد، وتحذير قوي، لعل المخطئ يرتدع فلا يعود الى تكرار هذا الفعل المنكر مستقبلاً.

وفي الحديثين الثاني والثالث أفادت الأداتان (هلاّ) و (ألاّ) [2] التحضيض ايضا فضلاً عما حملتا من معاني التنديم، إذ جعلتا المخاطب يحس بالندم على ما فاته من عدم الانتفاع بجلد الشاة الميتة، في الحديث الثاني، وعدم تغطية القدح في الحديث الثالث، ولكنهما في الوقت نفسه تحثا المخاطب وتحضاه على القيام بالفعل مستقبلاً، واني لأتخيل انهم بعد ان سمعوا حديث الشاة قاموا فسلخوا الجلد وانتفعوا به، والرجل، في الحديث الآخر إن لم يغط القدح هذه المرة سوف يفعل ذلك مستقبلاً.

وقد عدل عن صيغة الأمر الى صيغة التحضيض لأنها أدل على المبالغة في الحث فاللام المشددة في (هلاّ) تشي بتشديد الطلب والتأكيد عليه، ويقول الجرجاني في معنى (لولا) التي تعمل عمل (هلا) قولك " لولا فعلت كذا فكأنك قلت له: افعل كذا، غير انك قصدت ان لا تأتي بمجرد الأمر، فجنحت الى جانب الحث والتحضيض ".

اما الحديث الثالث فقد وردت (هلاّ) في سياق ضرب به رسول الله ﷺ المثل من اجل تقريب الفكرة للإفهام ولبيان فضله ﷺ، وان الله ختم به المرسلين.

وقد أفادت (هلاّ) في هذا السياق معنى التمني متواشجاً مع معنى الحث والحض على تقبل حقيقة ان رسالة النبي ﷺ خاتمة الرسالات، وبه اكتملت الشرائع السماوية.

(1) وردت (ألاّ) التحضيضة في صحيح البخاري في موضع واحد .
(2) المقتصد في شرح الإيضاح: 86/1 .